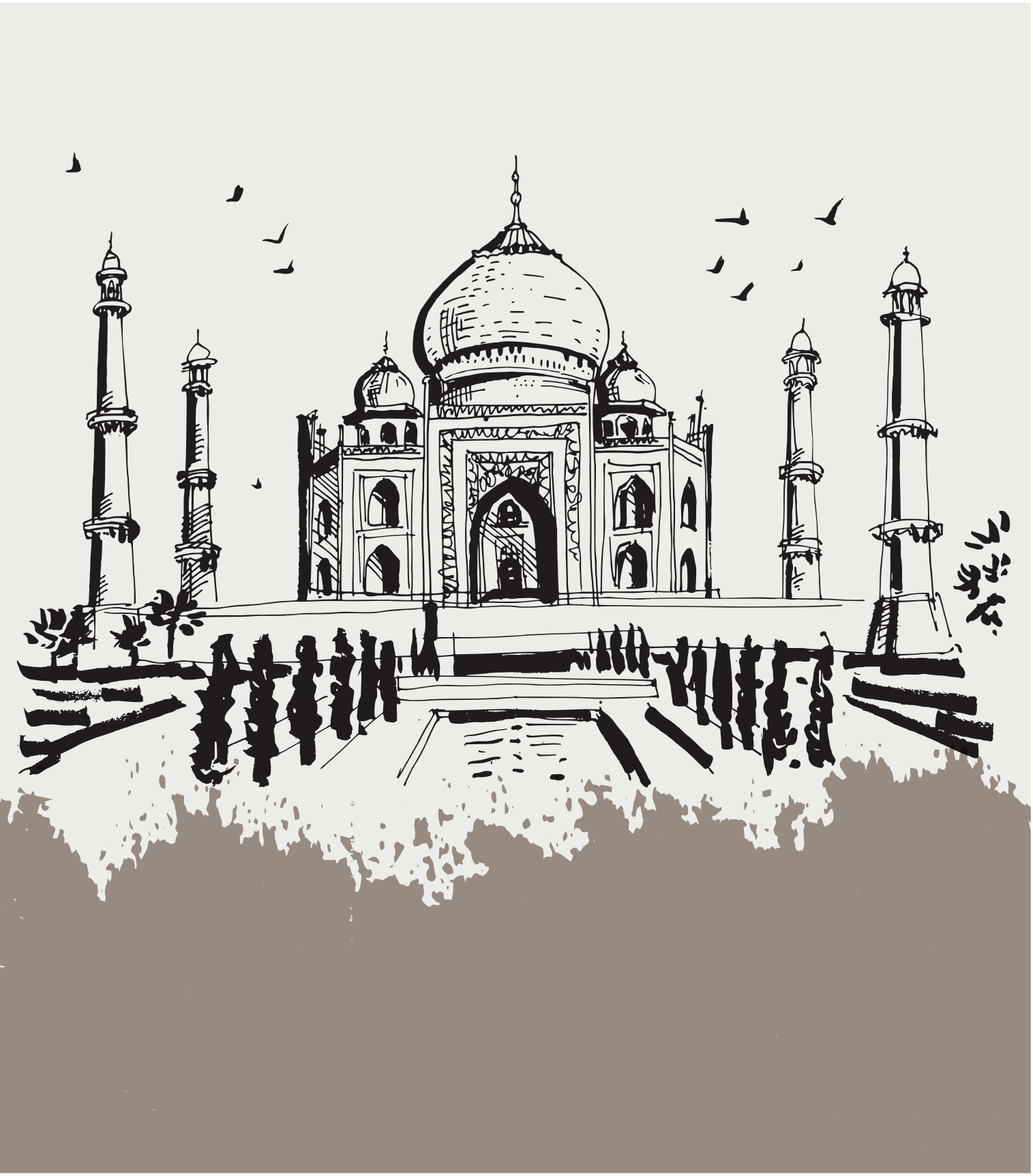

عن طارقِ بنِ شهابٍ قال:

١ جاء رجُلٌ من اليهودِ إلى عمرَ ﷺ، فقال: يا أميرَ المؤمنِينَ، آيةٌ في كتابِكم تَقرؤونها، لو علينا نزلت معشرَ اليهود، لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيدًا.

٢ قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٣ فقال عمر ﷺ: إني لأعلمُ اليومَ الذي نزلتْ فيه، والمكانَ الذي نزلتْ فيه: نزلتْ على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم جُمعة[٥٣].

(٥٣) رواه البخاريُّ (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

آيات

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الراوي

هو: أبو حفص، عمرُ بنُ الخطَّاب بنِ نُفيلٍ، القرشيُّ، العَدويُّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كعب بن لُؤَيٍّ، الفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول مَن لُقِّب بأمير المؤمنين، وهو وزير رسول الله ﷺ، توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، توفِّي سنةَ (٢٣هـ)[١].

خلاصة

يغبط اليهودُ المسلمين على آية: «اليوم أكملت لكم دينكم»، ويتمنون لو أن مثلها كان نزل عليهم، فأخبرهم عمر ﷺ أنَّه يعلم الزمان والمكان الذي نزلت فيه، وأنَّ المسلمين يُعَظِّمون مكان نزولها وزمانه.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٣٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٣٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٦٤٢).

١ جاء أحدُ علماءِ اليهود - وهو كعب الأحبار الذي أسلم بعد ذلك[٥٤] - إلى عمر بن الخطاب ﷺ يخبره بأنَّه يغبط المسلمين على آيةٍ نزلت في القرآن الكريم، وأنَّ معشر يهودٍ يتمنون لو كان نزل عليهم مثلها، فإنهم كانوا سيُعَظِّمون ذلك اليوم الذي نزلت فيه ويتَّخذونه عيدًا لهم.

٢ فسأله عمر ﷺ عن تلك الآية، فأخبره الرجل أنها قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإنما احتفى اليهودُ بتلك الآية لأنَّ فيها إخبارًا بإكمال الدين، وهو حاصلٌ بأمورٍ؛ منها: اكتمال الشرائع والحدود والفرائض، ونفي المشركين عن المسجد الحرام وعدم دخوله، وعزُّ الإسلام وظهوره، وذلُّ الشركِ وأهلِه، وزوال الخوف من العدو، ورفع النسخ عن الدِّين، فلا ينزل ما ينسخه من الأحكام أو الديانات التالية، فهو الدين الخاتم، وفتح مكة[٥٥]. ومن كماله كذلك أنَّه لا تعارض بين نصوصه، ولا بينها وبين العقل الصريح، وأنه دينٌ صالحٌ للثَّقلين في كلِّ زمانٍ ومكان، وأنَّ تشريعاته تراعي حاجة الإنسان وتُلَبِّي مطالبه وتحقق الأمنَ والنظامَ بين أفرادِه.

وفيه إتمامُ النعمة بظهور الشرع وتحقيق الأمن ونشر الدين في ربوع الأرض، وإعلانُ الرِّضا الإلهي عن دين الإسلام، فلا نسخَ فيه بعد اليوم، ولن تنسخه شريعةٌ أخرى من الشرائع، فهو الدين الخاتم[٥٦].

٣ فأخبره عمر ﷺ بأنَّ المسلمين أكثر اهتمامًا بالوحي منكم، فإننا نعلم زمان نزول تلك الآية ومكانها، ونُعَظِّمهما؛ فقد نزلت على النبيِّ ﷺ وهو واقفٌ بعرفة، وكان يومَ جمعة، فذلك عندنا عيدان لا عيدٌ واحد؛ العيد الأسبوعي يوم الجمعة، ويوم عرفة وهو عيدٌ للمسلمين كذلك، قال ﷺ: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»[٥٧].

---

(٥٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٧٠).

(٥٥) انظر: «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزيِّ (١/ ٥١٣)، «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (٧/ ٣٣٩)، «تفسير ابن رجب الحنبليِّ» (١/ ٣٨٤).

(٥٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (٧/ ٣٣٩).

(٥٧) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذيُّ (٧٧٣) والنسائيُّ (٤١٨٦).

التّتبّعي

١ أعداء الإسلامِ يدرسونه جيِّدًا بحثًا عن شُبهاته التي يُثيرونها، فعلى كلِّ طالبِ علمٍ أن يتجهَّز للدفاع عن الإسلام ويرد شبهات المشككين.

٢ لا تغترَّ بمسالمة الكافرين؛ فإنهم أكثر النَّاس حسدًا للمسلمين على ما أوتوا.

٣ غير المسلمين يحسدوننا على ما أنعم اللهُ تعالى علينا من الوحي، وأنت غافلٌ عن قراءته وفهم معانيه!

٤ اعلم أنَّ الإسلامَ دينٌ كاملٌ لا نقصَ فيه، ولا تعارض بين نصوصه وبعضها، ولا بينها وبين العقل الصريح. فإن رأيتَ تعارضًا أو إيهامًا بالنقص فارجع إلى أهل العلم يحِلُّون لك المشكل ويوضحون لك الغامض المبهم ويزيلون التعارضَ المتوهَّم.

٥ ليست الأعيادُ بالرأي والاجتهاد، وإنَّما بالنَّصِّ عليها. فلا تحتفل بما لم ينصَّ عليه الشرع من أعياد الأمم السابقة.

٦ على المسلم أن يعتزَّ بدينه، ويتعلَّم العلم الشرعيَّ، ويَربَأ بنفسه أن يُظهره أحد من الكفَّار في مظهر من لا يعرف دينه، أو أنه جاهل بدينه.

قال الشاعر:

وَتَنَـزَّلَ الْقُـرْآنُ يَبْنِـي أُمَّـةً ... حَتَّـى أُتِـمَّ الدِّيـنُ وَالْإِنْعَـامُ

يَـا سَيِّدَ الْأَحْـرَارِ يَـا رَأْسَ الْإِبَـا ... يَـا رَحْمَـةً لِلْعَالَمِـينَ تُـدَامُ

أَدَّيْـتَ أَمْـرَ اللهِ وَحْـدَكَ حَامِـلًا ... أَمْـرًا تَنُـوءُ بِحِمْلِـهِ الْأَعْـلَامُ

وقال غيره:

جـاءَ النَّبِيُّون بالآيـاتِ فانصرمت ... وجئتَنـا بحـكيمٍ غـيرِ مُنصَـرمِ

آيَاتُـه كلَّمَـا طَـالَ المـدَى جُـدُدٌ ... يَـزِينُهنَّ جَـلالُ العِتـق والقِـدمِ

يَكَـادُ فـي لفظـةٍ منـه مشـرَّفةٍ ... يـوصِيك بـالحقِّ والتقوى وبالرَّحِمِ